ان تكون فيها « الصورة الغنائية » القديمة التي اعتادها الناس ، « رؤيا غنائية » جديدة . ولم يفاجأ دون شك بشكوى الجمهور ، فهو يعرف ان قيمته الاساسية انما تكمن في فاعليته الشعرية لا في استجابته. واستمر في اصراره حتى مجموعته « العصافير تموت في الجليل » ، حيث تحولت شكوى الجمهور الى سوء تفاهم ، هذا السوء الذي كان محمود يخشى « ان يتحول الى خلاف قد يأخذ شكل القطيعة » . وقد حصل ما كان يخشاه محمود ، اذا ما واجهنا معطيات الجماهير بالوجه المباشر . اذ بعد صدور مجموعته الاخيرة « احبك او لا احبك » كان كثير من القراء يلتفتون بكآبة الى قصيدته « سجل انا عربي » والى « صورته الغنائية » السابقة . ولكن هذه المعطيات المباشرة لا تشكل جوهر الحقيقة . بالرغم من انها حقيقة محزنة . فليس من الصحة التصور ان فاعلية الشعر الثوري تكمن في ذلك الحماس او التصفيق الصالوني — مهما اختلفت اشكاله — السريع الذوبان ، بعد استنشاق الهواء في الخارج .

من حق الشاعر ان يحزن وان يتساءل « هل يترتب علي ، لكي لا ينقطع التفاعل بين شعري وبين الناس ، أن أعود الى التعبير المباشر ، والحث الصريح على الكفاح والتمسك بالامل والعقيدة ؟ هل أعلل هذه الظاهرة بعدم وجود نقاد جادين ؟ هل هذه الظاهرة تطرح قضية « التناقض » الفني بين متطلبات التجديد عند الشاعر وبين مدى الامكانيات الفنية المتوفرة لدى قطاع واسع من الناس ؟ »(١٠). ومن حق الشاعر ايضا ان لا يثنيه تساؤله هذا عن فاعليته الاعمق .

حين تكون حرب حزيران انفجارا داخل هذه المسيرة المستسلمة ، فأين يكون الانسان العربي ، والشاعر العربي بالتالي ؟

الاجابات على هذا التساؤل كثيرة ، بحيث اصبحت بسحر الاستجابة ، وجها مجردا « لفكر سياسي » مطلق ، شأنها شأن الانقلابات التي اصبحت وجها مجردا « لنظام عربي واحد » مطلق . ان هذا « النظام الواحد » يعد أمثولة مكثفة لواقع شاسع . أمثولة مكثفة لانها « حزيرانية » ، استطاعت الهزيمة ان تقدمها ، وان شئنا الدقة ، ان تكشفها بكل تجاذباتها و« وحدويتها » المتخلفة الشرسة في وجه الثورة . وفي وجه التطلع لـ « وحدوية » الجماهير . واذ تكون فلسطين — فجأة — والفلسطينيون ، نواة لثورة ممكنة ومقبلة ، يتمسك النظام بسطح الواقع الراكد ، وبطبيعة المسيرة المستسلمة . « ويدرك ان هذا اللاجيء الفلسطيني — ويسمونه العائد في الاذاعات .. — قد أصبح بتأثير جرحه الانساني والقومي ذا حساسية خطرة ملتهبة ، قابلة لان تلتقط « جرثومة الثورة » من سابعة سماء ، فكان لا بد اذن ، في حساب أولئك الرسميين التقليديين ، من ان يحاصروا موطن الداء هذا بكل ما أوتوه من فطنة وحسن تدبير — وانهم هنا لجد فطنين جد مدبرين ، اكثر منهم في اي موضع آخر — وذلك لئلا يفلت هذا الطاعون الثوري من عقاله في سماء المنطقة فيجتاح المراعي الفسيحة ، ويزلزل السطح العربي الراكد من تحت الاقدام الصلبة العاتية الضاغطة عليه .. »(١١). وليس قرار ١٩٥٤ لتحديد اقامة « اللاجئين » ، وحصر انتقالهم بحرية عبر حدود الوطن العربي ، وكان القرار الوحيد الذي أجمعت عليه دول الجامعة العربية ، ببعيد .

ان « الرسميين التقليديين » كما يسميهم يوسف الخطيب هم الذين وحّدهم حزيران ليشكلوا الاساس الذي حدث بعده والذي يسميه منح الصلح « النظام العربي الواحد »، حيث ان الاشتراك في قرار وقف القتال والهزيمة خلف عند الانظمة العربية ردود فعل واحدة أمام الاحداث ، وغرائز ومخاوف واحدة بشكل تبيح لنا ان نقول ان هناك نظاما عربيا واحدا ، له ملامح متشابهة « الحذر من الجماهير ، الازدواجية في القول والعمل ، تناقض السياسة الخارجية مع السياسة الداخلية ، الطرق المتشابهة في مواجهة الازمات